۱۶۷.۹

مجله	الاخلاق والاداب
تاریخ نشر	ربیع الاول ۱۳۸۳
شماره	۶ سال چهارم
شماره مسلسل	
محل نشر	کربلا
زبان	عربی
نویسنده	محمد الحسین الادیب
تعداد صفحات	۲۲۸ - ۲۳۲
موضوع	المسابقات فی الاسلام
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحضات	

المساواة فى الاسلام

يقلم : الاستاذ محمد الحسين الأديب

قوله تعالى :

(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ،وبث منهما رجالا كثيراً ونساءاً .)

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها .)

وقول نبيه الأكرم (ص) :

(الناس سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى).

هذه هى المساواة الانسانية . وهى نظرة دقيقة عميقة . لايمكن لأحد أن يتجاهل مرماها العظيم . أو ينكر مغزاها الاجتماعى العام .

إن مبدأ المساواة فطرى ربما يعود تاريخ وجوده الى إبداع الخالق للنفوس البشرية .

والآخرة وان كان القبر أول شيء يلقاه فلم لايخاف عاقبته .

الموت ماء وكل الناس شاربه والقبر باب وكل الناس داخله

كل هذا أن أنصفنا أنفسنا لوجدنا لاعذر ولا دليل ولا برهان لنا على ترك هذا الواجب المقدس وانها لاتتضارب ووقت أعمالنا وراحتنا كما اننا نتفرغ لأشغال أخر وجب وحتم علينا ان نتفرغ لأداء الصلوات الخمس وختاما أبتهل الى العلى القدير أن يوفقنا وإياكم لأداء الفرائض والواجبات على أحسن الوجوه وأن ينعم علينا خير الدنيا والآخرة انه سميع مجيب وصلى الله على محمد وآله الأخيار الميامين الأبرار والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وان المساواة أمام القانون فى نظر الاسلام فطرية . فلا يفقدها الفرد بأى سبب كان أو بأى عامل شاء .

ونظرة بسيطة فى العبادات الاسلامية ، ومعابد المسلمين تظهر لنا جليا مساواة الاسلام الفطرية وتحقق لنا تلك الأمثلة الرائعة الحية العملية التى تهدف الى المساواة بصورة جدية فعالة .

ولما كان من الظواهر التابعة فى هذه الأيام هى الاتجاه العام نحو المساواة فى صورها المتباينة وأن السبب الرئيسى فى ذلك هو تقدم احترام الشخصية الانسانية وتقدير الكرامة البشرية ـ تقدما واسعا (ولو كان ذلك المتقدم فى بعض الأحيان من الوجهة النظرية) . وقد أسست هذه الفكرة على القيمة الذاتية للانسانية .

وبينما نحن فى مثل هذه الظواهر والبوادر والاتجاهات والدعوات من رجال الفكر لاصلاح الأحوال الاجتماعية ونشر ألوية العدل والحرية . نرى من جهة أخرى بعض المجتمعات والدول تسير سيرتها المعادية البغيضة والتى كلها قائمة على أساس المنافع الخاصة . أو العبودية . أو الفوائد الذاتية الشخصية الوقتية . . . الخ رغم أن تلك الدول أو المجتمعات تعلم علم اليقين أن العمل بذلك جحود لتلك الآراء والأفكار التى طالما دعى اليها أعلام رجالها الأحرار وفلاسفتها الكبار . وكأن دعواتهم صرخة فى واد ونفخة فى رماد .

وانها لظاهرة واضحة لمن القى نظرة على صفحات التاريخ مما يلاحظه من المظالم التى نشأت من تجاهل المساواة . وكيف اتخذ فريق من الناس الآخرين من إخوانهم عبيداً بل أدوات وآلات لتنمية أغراضهم واشباع رغباتهم وأهوائهم .

وفى التاريخ كذلك يظهر للمتتبع لحركات المصلحين الغيارى صفحات

من أخبار ماقاساه هؤلاء الأحرار من انواع العنف والتعذيب ، والنفى ، والتشريد . . . الخ

وما أن يرجع الانسان المتتبع هذا نظره إلى الاسلام ليجد أنه منذ أن سطعت أضواءه بين الانسانية أعلن بكل صراحة ووضوح . ومن دون أى شدة أوقسوة أو تحميل عن قوة . بأن بنى الانسان كلهم متساوون فى الخلق والفطرة ، والمنشأ ، والمبدأ ، والمصير ، والنهاية . وبأن المساواة روحى محض لا أثر للعوامل الخارجية فيها ، والتى لاتزيد منها شيئاً ولا تنقص عنها شيئاً ابداً .

والاسلام حين يدعو الى مثل فضيلة المساواة وغيرها . فلا يدعو إلا حقاً ولا يقول إلا صدقا .

والاسلام حين يدعوالى المساواة يشترط أن يقترن القول بالعمل ، لئلا يكون ذلك القول وبالا على صاحبه وينتهى به إلى الانحدار إلى درجات النفاق والمنافقين الذين يقولون مالا يفعلون .

(كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)

وكما قدمنا فنظرة الى المساجد وتأمل بسيط فيما يجدها الناظر من الأعمال العبادية لنظر المساواة بأجلى مظاهرها وتوحى بالمبادىء الاسلامية على حقيقتها

وما ذلك . . إلا . . لأن الاسلام دين السماحة ، والتسامح ، و (الديمقراطية) الحقه . والحرية الصحيحة ، والتواضع والمساواة أمام القوانين . والأخوة فى الله . . .

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

لاتميز بين شخص وآخر .

لافرق بين انسان وغيره .

الأمير والفقير يشعران بأنهما سواء لافرق بينهما أبداً .

فالصلاة خمس مرات فى كل يوم وليلة لما فيها من الركوع والسجود . ولا سيما الجماعة منها فى المساجد حيث يقف الواحد بجنب الآخر . هى التى تصوغ المساوات فى أحسن صورها وأبهى رسومها .

والصلاة هذه قد تعتبر أعظم مدرسة مهذبة للنفوس الانسانية . تعود الانسان على التواضع ولين الجانب ، ووداعة الأخلاق . بالاضافة إلى أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

والمساواة فى الاسلام ليست مجرد نظرية فرضية . بل انها حقيقة عملية .

ظاهرة المساواة فى عبادة الصلاة واضحة جلية حيث تتلامس الوجوه فى السجود لرب السماوات والأرضين . فلا يشعر أحد حينذاك بأنه سيد أو مسود .

فلا سيد ولا مسود فى مساواة الاسلام .

وانما الكل سواء أمام جلال الله عز وجل .

وقد بنى الاسلام فكرة المساواة هذه على أسس معنوية بخلاف الغربيين حينما أسسوها وبنوها على فكرة مادية .

وهذه هى الجوهرة الكريمة التى تفرق بين المساواة بنظر الاسلام ، والمساواة فى نظر العالم المادى .

فالافكار المادية لاتصلح أن تكون مرشداً فى هذا المضمار وهى ضالة . ولا هاديا وهى حائرة . ولا موئلا وهى مضطربة . ولا متكأ وهى مزعزعة .

فى الاسلام حيث الفارق الروحى المحض يمكن أن يجد الناشدون للمساوات بغيتهم المنشودة . وغايتهم المقصودة .

فقد جعل الاسلام مناط التفضيل ، ومبعث التكريم ، معنوية محضة . وأخلاقية فحسب . وهى الميزة الخالدة التى لاأثر للمادة فيها .

فأعراض الحياة المميزة كلها زائلة فانية فلا وزن لفروقها .

والقيم الماديه لااعتبار لها لأنها لاتمنح أحداً ذرة من الفضل على غيره ولا تهبه حبة خردل من امتياز . وانما القيم هى القيم الروحية التى تجعل للانسانية قيمة حقيقيه . كالمواهب الشخصية ، والكفايات الفردية ، والجهود الخاصة .

وان سيادة تلك النسب الحقيقية وتعادلها مع أسبابها وعواملها ونزاهة الحكم فيها . . هى العدالة المثالية والمساواة الحقيقية وهى من المبادىء الاسلامية

(فان أكرمكم عند الله أتقاكم)

فالتقوى هنا مثلا هو أحد المميزات الانسانية .

وخلاصة القول فى التميز ظاهرة فى قوله (ص) :

(أمرنا نحن معاشر الأنبياء أن ننزل الناس منازلهم . وان نخاطب الناس على قدر عقولهم) .

وقوله تعالى :

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون)

فالمساواة من مستلزماتها المساواة فى إتاحة الفرص لابراز كوامن المواهب والكفايات . .

وكذلك تقتضى وجوب اختفاء جميع الأسباب والعوامل المصطنعة التى تسبب اطفاء انوار المواهب أو فى كبتها ، وأخيراً فى فقد المساواة العادلة .

والمساواة العادلة التى هى التفاوت الاجتماعى الناشىء من درجات المواهب ومراتب الكفايات والمؤهلات .

فلا يمكن وضع الناس كلهم فى منزلة واحدة وهم مختلفون فى المواهب والكفايات .

كما لايمكن معاملتهم معاملة واحدة .

بل يجب تفاوت المعاملة بين أهل المكانات المختلفة .

وليس من المساواة فسح المجال لقسم من الناس لزيادة المواهب وكسب الكفايات وعدم فسح المجال لغيرهم .

فالعدل يتطلب من المهيمنين على شؤن المجتمعات ويلزمهم الزاما باسم حقوق الانسان والانسانية أن يهيئوا أمام المواهب جميع الفرص المواتية لبروزها وانتاجها فى أوسع صورة ، واكمل مثال .

كما ينبغى عليهم المبادرة الى محاربة الأدواء الاجتماعية والمسارعة الى بناء المجتمعات الصالحة التى تسودها المثل الاسلامية الرائعة .

فالمساواة ليس وضع الناس جميعاً فى مستوى واحد .

بل المساواة هى أن الناس جميعا فى أصلهم سواء .

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة)

فهذه هى المساواة التى يدعو الاسلام اليها : وهى إتاحة الفرص لكل من كان لابراز كوامن مواهبه وكفاياته .

وهذه هى المساواة التى يدعو الاسلام اليها : وهى عدم فضل أحد على آخر إلا بتلك المواهب العلمية العالية ، أو الاخلاقية السامية الرفيعة أو بالتقوى والطاعة . أو بخدماته الجليلة للانسانية .

وهكذا فيثبت بذلك للاسلام أرقى نموذج وأروع مثال للمساواة ؟